منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www. almadasupplements. com

العدد (5210) السنة التاسعة عشرة - الاربعاء (22) حزيران 2022

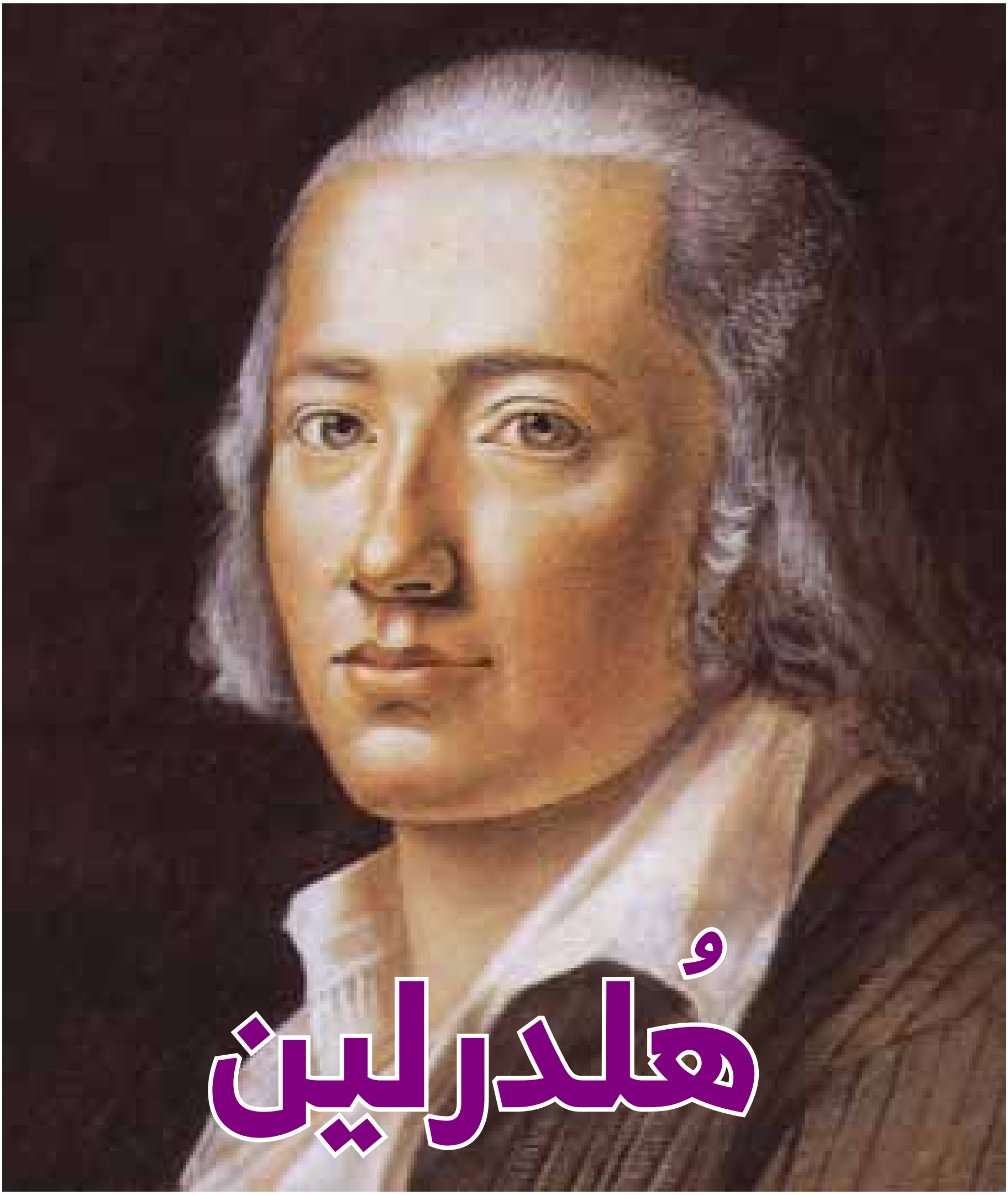

هُلدرلين

”يمكنني بلا ريب أن أقول إن أبّولو صعقني “. بهذه العبارة القريبة من الصرخة، وصف هلدرلين ما حدث له أثناء عودته، التي طالت مدتها بين ماي ويوليوز 1882، من بوردو إلى ستراسبورغ ومنها سيراً على الأقدام إلى نورتنغن Nürtingen. عبارة جاءت في رسالته الشهيرة، التي يصف فيها ذكرياته في فرنسا. وهي موجهة إلى صديقه بوهلندورف Böhlindorff في حوالي شهر نوفمبر من السنة ذاتها. لا تقف هذه العبارة عند تلخيص العلاقة التي كانت لهلدرلين مع إله الشعر لدى اليونان ومع الحضارة اليونانية ككل، بل تعيّن، أكثر، طبيعة تجربته مع الشعر والشعري.

قريباً من هُلدرلين

محمد بنيس

1.

فريديريش هلدرلين أحد كبار الشعراء الألمان. فهو يمثل، إلى جانب كل من غوته وفريدريش نوفاليس وماريا رينيه ريلكه وجورج تراكل وغوتفريد بن، الصوت الشعري الألماني الأصفى. عاش بين 1770 و1843، معاصرا لكل من بيتهوفن وبونابرت. وقد اعتاد مؤرخو ونقاد شعره على تقسيم حياته إلى مرحلتين: ما قبل 1802 وما بعدها، إذ الفاصل بينهما هو سنة إصابته بما يعرف في الأدبيات الهلدرلينية بـ“الجنون».

2.

يمكن أن نلخص المرحلة الأولى في علامات. ولد هلدرلين في لاوْفن، على ضفة نهر نيكار، وفي الثانية من عمره فقد أباه. تزوجت أمه بعد سنتين من المستشار غورك عمدة مدينة نوتنغن، فأقام معها. وفي الرابعة عشرة بدأ في كتابة الشعر. التحق سنة 1788 بجامعة توبنغن، التي حصل فيها بعد خمس سنوات على الماجستر في علم اللاهوت. في 1791 أصبح صديقا لهيجل وشيلينج، وتعرف كذلك على شعراء أسس معهم ”عصبة الشعراء“، وعلى سانكلير Sinclair، الذي ظل وفيا له في سنوات مرضه. تحمس في هذه الفترة مع أصدقائه لكانت وروسو والثورة الفرنسية، وفيها قرأ أفلاطون وتأكدت موهبته الشعرية ونشر قصائده لأول مرة. بحث عن العمل مؤدباً للأطفال، عكس ما كانت ترغب فيه أمه للالتحاق بالعمل في الكنيسة. تسلّم أول وظيفة له في 1793، وفي نوفمبر 1794 اتجه نحو فيمار، ثم ترك الوظيفة. استقر في يينا، العاصمة الثقافية، ساعياً إلى تكريس حياته للشعر، وتعرف فيها على شيلر لإعجابه الشديد به. وفي 1795 تابع محاضرات الفيلسوف فختة، التي كان يلقيها في ”بيت الرومانسيين“. وعندما أصبح محتاجا، بدون مورد مادي، عاد إلى بيت أمه، وفي نفسه خشية من العمل في الكنيسة.

في السادسة والعشرين من عمره، أي سنة 1796، عثر له صديقه سانكلير على عمل في بيت الثري جاكوب غونتار، في فرنكفورت الذي عمل مؤدباً لأبنائه. في بيت عائلة غونتار عاش إحدى الوقائع الفارقة في حياته، عندما استبد به حب سوزيت غونتارSuzette، زوجة الثري جاكوب غونتار، التي بادلته الحب. حب لا يشبه ما سبق. هو هذه المرة حب جامح، عثر فيه هلدرلين على الأقصى، ولم يقدر على رد تأثيره القوي في مسار حياته. فجمال هذه المرأة جسّد مثال الجمال اليوناني، الذي كان به مأخوذاً، فكتب عنها ”إنها يونانية“. كان حذراً معها، ففضل في نهاية سبتمبر 1798 مغادرة البيت، ابتعاداً عما يمكن أن يؤدي إليه هذا الارتباط من مصاعب مع الزوج. مع ذلك ظل على اتصال معها عبر لقاءات ومراسلات ما زالت محفوظة، وكان آخر تواصل بينهما في 1800. ومن فعْل ذلك الحب الجامح سماها هلدرلين في أعماله باسم ”ديوتيما، كاسم مستعار لهذه العشيقة سوزيت، التي توفيت سنة 1802. وقد رأى في فقدان عشيقته وحرمانه منها أن ”المثال لا يمكن أن يعيش على الأرض».

بين 1797 و 1979 نشر رواية في جزأين تحمل عنوان ”هيبريون»، اسم إله الضوء. أول عمل تبرز فيه نظرته إلى اليونان. هيبريون يوناني معاصر ولكن روحه قديمة. تحكي الرواية عن هذا البطل، في 1770، فترة إعلان روسيا الحرب على تركيا، فكان في الرواية يحث اليونانيين على التحرر من الأتراك. جمع متطوعين، وعندما دخلوا إسبرطة لم يتوان المتطوعون عن القتل والنهب فدنسوا بذلك انتصارهم. من ثم أيقن هيبريون أن الذين عمل معهم على تأسيس جمهوريته ليسوا إلا أوباشا.

وبعد مغادرته بيت غونتار توجه إلى بيت صديقه سانكلير في هامبورغ. هناك عمل لمدة سنتين، من 1798 إلى 1800، بتركيز ثقافي نادر وبتوثب عسى أن يخفف من صدمة فراق سوزيت. فشرع في كتابة رواية «أمبيدوقل» ثم أعاد كتابتها لمرتين متتاليتين دون أن ينجح في إتمامها. كما كتب مجموعة من الدراسات في علم الجمال والفلسفة. وإصراراً منه على الوصول إلى استقلال مادي، قرر تأسيس مجلة تحمل عنوان ”إيدونا. لكن المشروع بدوره لم يكتمل. وإلى هذه الفترة، التي غلبت عليها المجاهدة في الكتابة، وضع الصيغة الأولى للمراثي والأغاني وأصبح معروفاً. على أن أحواله المادية ازدادت سوءاً، فلم يجد بداً، في 1800، من العودة، مرغماً ومنهاراً. عندها تضاءلت طاقته الجسدية والفكرية، واحتدت حالة الكآبة لديه فكتب: “هذا المناخ لا يصلح للشعراء. “ وفي السنة ذاتها اعتنى به أصدقاؤه في شتوتغارت واستدعاه على الخصوص صديقه التاجر لاندوار لقضاء مدة معه. فكانت فرصة كتابة أولى الأعمال الشعرية الكبرى وترجمة بندار، الذي بدا أثره حاسماً في كتابة ”التراتيل“. ثم سافر في 1801 إلى هابتويل في سويسرا للعمل مؤدباً، لكن العائلة اعتذرت عن قبوله بمجرد ملاحظة حالته. فعاد من جديد إلى بيت أمه، وكتب إلى شيلر يستغيث فأعرض عنه ولم يجب على الرسالة. ومع ذلك استمر في الكتابة، لكن قدرته على التركيز تضاءلت، واستولت على سلوكه غرابة مع تعمّد تجنب الآخرين. وهي أعراض تدهور نفسي.

وعمل آخر سنة فيها، وهو في الثانية والثلاثين من عمره، لدى مايير، قنصل هامبورغ في بوردو، مؤدباً لأبنائه. إقامته في بوردو كانت قصيرة جدا، تمتد من2 يناير 1802، حيث وصل إليها عابراً كلا من ستراسبورغ وليون، حتى مايو 1802، عائدا إلى نورتنغن عن طريق باريس وسترسبورغ. ولا يعرف شيء عن هذه الإقامة. ثمة فقط أثرها في بعض القصائد. عاد إلى البيت مصابا بـ“صعقة أبولو“ ، وهو في حالة متقدمة من انفصام الشخصية، فاعتنت به أمه. وبين الفينة والأخرى كان يتمتع بصحوته، فكتب ”باتموس“ و“الواحد الأحد“. ثم استقرت حالته النفسية في السنة الموالية فاشتغل على قصائد جديدة من أهمها ”ذكرى“ و“نهر إستر“ وانتهى من ترجمة ”أوديب الملك“ و“أنتيغون“ للشاعر سوفوكل ونشرهما سنة 1804. وعندما زاره شيلر ارتعب من الإهمال الذي أصبح عليه مظهره.

.3 .

ثم جاءت المرحلة الثانية موصوفة بالأزمة العصبية التي أطلقت عليها مرحلة "الجنون". وهي التي تبدأ مع سنة 1804. لقد كان صديقه سانكلير يحرص على إخراجه من الحالة التي هو فيها فنقله إلى بيته في هامبورغ، وبحث له عن عمل في مكتبة، معتقدا أن هلدرلين في طريقه إلى الشفاء. وعندما فحصه طبيب في يونيو 1805 كانت النتيجة أنه يحتاج للإقامة في مصحة عقلية. وهكذا أودع مصحة في توبنغن سنة 1806. وبعد تفاقم حالته العصبية، صدرت وصاية على هلدرلين وأودع في بيت تسيمر، النجار، في مدينة توبنغن، من سنة 1807 حتى وفاته في 7 يونيو 1843. هناك في محل يشبه قلعة تم وضعه في غرفة معزولة في الطابق الأول، مشرفة على نهر نيكار. في هذه المرحلة عاش هلدرلين فترات طويلة من الصمت، كما كتب قصائد قصيرة أصحبت معروفة بـ"قصائد الجنون". وهي قصائد متحررة من قواعد الشعر الكلاسيكي، كان يمضيها أحياناً بأسماء غريبة مقل سكاردنيللي ويذيلها بتواريخ ماضية. في تلك الغرفة زاره معجبون وقد بدأ الرومانسيون في اكتشافه وكذلك أعماله أصبحت متداولة في الحياة الشعرية الألمانية.

وتكاد تكون المرحلتان متساويتين من حيث عدد السنوات، إذ أن هلدرلين انتابته أول أزمة عصبية حادة وهو يبلغ خمساً وثلاثين سنة، ثم أمضى بعدها سنتين بين بيت أمه وصديقه سانكلير والمصحة العقلية، وأخيراً ستا وثلاثين سنة معزولاً في بيت تسيمر. وإذا كانت "صعقة أبولو" أقوى مما كان يحتمل جسده، أي النور الشعشعاني الذي يفضي إلى الظلمات، العمَى، فإن من المحتمل أن تكون تلك الأزمة غير بعيدة عن استحالة الحياة مع سوزيت، أو الإخفاق في الحصول على مورد مادي قار يضمن له التفرغ للكتابة، أو الفشل في إصدار مجلة "إيدونا". عوامل مجتمعة لها فعلها في مرضه، مهما كان حجمها في مسار تاريخي ألماني أو أوروبي.

.4 .

كان نيتشه يعتبر هلدرلين شاعره المفضل وكتب عنه. مع ذلك لم تبلغ مكانة هلدرلين ذروتها إلا في القرن العشرين، عندما اهتم بقراءة شعره الفيلسوف الألماني هيدجر، في محاضراته الجامعية التي ألقاها على طلبته أول مرة في سنتي 1934 و 1935، وافتتحها بقراءة قصيدة "جرمانيا"، ثم تلتها على فترات قصائد أخرى. بهذه القراءة الفلسفية انتقل هلدرلين من كونه أحد أعلام الشعر الألماني في القرنين الثامن والتاسع عشر إلى "هذا الشاعر الذي يتعلق به مستقبل الألمانيين"، أو "شاعر الشعراء" حسب تعبير هيدجر في كلمته الافتتاحية للمحاضرة الأولى، أو "شاعر الشعراء" كما سماه هيدجر في دراسته عن معنى الإقامة شعريا على الأرض. وبهذه القراءة ارتفع هلدرلين إلى مدى لا ينحد من عناية شعراء وفلاسفة ونقاد ومترجمين بشعره لا يمكن تخيله بدونها، كما كتب عديد من الدارسين، معترفين بفضل قراءة هيدجر على هلدرلين.

فهذه القراءة الفلسفية أبرزت الثورة التي أحدثها هلدرلين في الوعي بالشاعر والشعري. فهو انتقل بهذا الوعي إلى رؤية تتلخص في تجربة الوجود والمصير، مستمدا رؤيته مما تعلمه من الإغريق ومما أصبح يؤمن به من امتداد لهم. ذلك ما كتبه لصديقه بوهلندورف، بعد عودته من بوردو: " إذا كنا لم نبلغ بعدُ هدفنا، فذلك لأننا الذين نحاول من جديد، بعد الإغريق، أن نغني تبعاً للطبيعة، وتبعاً للوطن، بطريقة متأصلة لا مثيل لها. " إنه وعي تحديث النظر إلى القصيدة، إلى الشعري. وهو في آن لا يمكن أن يصدر إلا عن الشاعر نفسه حتى "يكون بدوره أساس كل إقامة" على الأرض، كما كتب هيدجر في قراءة قصيدة "ذكرى". هي إقامة ذات معنى مخصوص، لا سبيل إلى اختزاله في كل ما يعمله الإنسان، وما يقوم به من أجل أن يستحق الحياة. هذا معنى أول، على أن هلدرلين يذهب به نحو الأعمق عندما يكتب:

عديدةٌ مزاياهُ، مع ذلك شعرياً
يقيم الإنسان على هذه الأرض.

هي إقامة مسكونة بالشعري، لأن "الشعر هو القوة الأساسية للسكَن الإنساني". فالشعر هو الكلام الذي يعطي الواقعي ما يتأسس به وعليه. والشاعر الملهم بـ"روح الشعر"، حسب تفسير هيدجر، هو وحده الذي يحول الإقامة من معناها الأول، المستخلص من مزايا عمل الإنسان إلى معنى قياس الما بين، في الصلة بين السماء والأرض، عموديا، بما هو حضور للإلهي. ذلك ما تفصح عنه قصيدة "ذكرى" من خلال تلك الأبيات المشعة عن معنى الشاعر:

(.....) لكن البحرَ
يأخذُ الذكرى ويمنحُها
والحبُّ بدوره يأسر النّظرات باستمرارْ
لكن ما يبقى، وحدهم يؤسّسه الشعراء.

.5 .

كان الوعي بالشعري لدى هلدرلين متفاعلا مع الوعي بالتاريخي. لهذا فإن اعتبار عناية الشاعر بالمصير له دلالة تاريخية بقدر ما له دلالة شعرية. ففي ملاحظة وضعها في هامش ترجمته لمسرحية سوفوكل "أنتيغون"، كتب عن الألمان في زمنه: "إن الاتجاه الأساسي يجب أن يكون معرفة كيف نلتقي على نحو دقيق، ونمتلك "عنوان" مصير، لأن غياب الاتجاه، المصير هو ضعفنا. »

ومن هذا الوعي المتوهج بالامتداد للإغريق من ناحية، وبالعيش في زمن ألماني تغيب عنه معرفة كيف يمكن اللقاء بالمصير من ناحية ثانية، اتخذت تجربة هلدرلين بعداً أصبح معه الشاعر صاحب رسالة، لا بالمعنى الديني، بل بمعنى "النبوءة الشعرية"، كما كتب هيدجر: "إن حلم [النبوءة] إلهي، لكنها لا تحلم بإله. يضغط هذا الحلم بثقله الخاص: فبفضله، لا تتحول الأنفاس المهددة إلى زوابع ملتبسة: إنها تخط طريقها الوحيدة فوق المسالك البطيئة. "نبوءة لا تحلم بإله، لأنها تلتصق بالآلهة اليونانية، التي كانت بالنسبة لهلدرلين أقرب إلى نفسه من الإله المسيحي الغائب في زمنه. لهذا فإن الإلهي الذي يتردد في أعماله يستند إلى أن الإنسان والطبيعة يحتاجان إلى الإلهي منفصلا عن الديني. والنشيد كان الصيغة المثلى لصياغة هذا الإلهي، مصدر النبوءة، من خلال قصائد، تصادت فيها الأرض اليونانية مع الأرض الألمانية، من بينها "وداع"، "ديوتيما"، "التائه"، "خبز وخمر"، "عودة"، الأرخبيل"، "نصف الحياة"، "الراين"، "ذكرى". في هذه القصائد، كما في غيرها، تتبلور الرؤية الهلدرلينية للشاعر والشعر. ولكن القصائد تتكامل، أيضا، مع كل من رواية "هيبريون" و"أمبيدوقل"، ودراسات موضوعها الشعر والفلسفة، ورسائل، تؤدي كلها إلى معنى الرسالة الشعرية ومعنى النشيد، الذي يجعل شعبا من الشعوب يقيم شعرياً على الأرض.

إن قصيدة "الأرخبيل"، التي كتبها هلدرلين سنة 1800، في نفس فترة كتابة "نصف حياة" و"خبز وخمر"، هي أطول قصيدة كاملة نشرها هلدرلين. وهي تستدعي العالم اليوناني، كما عرفه من خلال الكتب، أو كما تجسد له في الجنوب الفرنسي، أثناء إقامته في بوردو. يونان الآلهة والحروب وحياة الأثينيين. في هذه القصيدة يظهر بوزيدون، إله البحر، أهم عناصر الطبيعة لدى الإغريق، مخبولا ومريضا، كما هي حال هلدرلين. هذه القصيدة نموذج لما كان يقصده من العودة إلى اليونان. إن الانتقال من الوطن، ألمانيا، إلى اليونان، الخارج، الأجنبي، ذهاب إلى حيث الآلهة قريبة، ثم ذهاب إلى حيث التعلم من الأجنبي ضرورة لكل ما هو موجود في الوطن، لكل عودة إلى الوطن. تلك الضرورة المعرفية هي التي لازمت هلدرلين في البحث عن تحديث النظر إلى الشاعر والشعري. ذلك ما كتبه سنة 1801 في رسالته إلى صديقه بوهندروف "ما هو شخصي يجب أن نتعلمه بقدر ما نتعلم ما هو أجنبي. لذلك لا يمكن أن نغفل عن الإغريق. على أننا، بالضبط في مجال ما هو شخصي لنا، موجود في الوطن، لن نصل إلى مضاهاتهم، لأن الاستعمال الحر للشخصي، كما قلت لك، هو الأصعب. " فلا عودة إلى الشخصي، الموجود في الوطن، الطبيعي، إلا من خلال الذهاب إلى الأجنبي، اليوناني، في التصور الهلدرليني. لكن هذا الذهاب لا يتغيا التقليد بتاتاً، وإلا بطل مفعول الذهاب إلى الخارج، الأجنبي، واستحالت معه العودة إلى الشخصي. ففي الرسالة نفسها يضيف: "لهذا أيضا سيكون من الخطورة لنا أن نستخلص قواعدنا، في الفن، من مجرد نموذج اليونانيين الكامل. لقد اشتغلت طويلا على كل هذا لأعرف الآن أننا، باستثناء ما لدى اليونانيين كما لدينا يجب أن يكون الإنجاز الأرفع، أي علاقة حية، مصيراً حياً، لا نستطيع بدون شك أن يكون لنا معهم شيء مشترك. »

.6 .

كان هلدرلين، أثناء إقامته الدراسية في توبنغن، اعتنى بالفلسفة والموسيقى، كما اهتم بالدراسات اليونانية. كتب هلدرلين قصائده في قالب كلاسيكي، صارم في احترام تام لبنية البيت أو بنية المقطع أو القصيدة بأكملها، وفي احترام لتركيب الجملة، من حيث بنيتها النحوية والصرفية. كان في ذلك المنحى الجمالي يتبع خطوات الشاعر فريدريش كلوبستوك Klopstock 1724). 1803)، ثم تحول لاحقا إلى شيلر، الذي كان لعمله "دون كارلوس" تأثير واضح عليه في كتابة "هيبريون". على أنه في فترة النضج الشعري قام بإدخال نبرته الشخصية على الأوزان القديمة وعلى جمالية اللغة الألمانية، فاغتنت قصيدته بكثافة شعرية عليا، موسومة بمرجعية تتردد فيها الحضارة اليونانية. إضافة إلى أنه في "قصائد الجنون" انتهج طرائق أكثر تحررا في البناء، كما سبقت الإشارة.

.7 .

حياة هلدرلين وشعره مرا، منذ أواسط القرن التاسع عشر، عبر محطات كبرى من التعرف والتوثيق والنشر والدراسة. والمشتغلون، في ألمانيا أو خارجها، يؤكدون أن الألغاز لا تزال تحيط بهما. ولا نفاجأ بشيء من ذلك. ففي 1993، سنة الاحتفال بالذكرى المائة والخمسين على وفاته، صدرت من جديد طبعتان رفيعتان للأعمال الكاملة، عن دار كلاسيكر Deutsche klassiker ودار Carl Hanser، لكل واحدة منهما امتياز خاص. كما تم الكشف في المناسبة ذاتها عن وثائق عثر عليها، هي ملف الوصاية على الشاعر الذي يتضمن ثماني عشرة رسالة كتبتها أسرة تسيمر النجار عن "المريض الروحي". إضافة إلى أن هناك أعمالا جديدة بالغة التعقيد لم يتيسر لحد الآن البث النهائي في فقراتها وبنائها الأصلي. وهذا يعني أن هلدرلين ما زال ينتظر عقودا أخرى من البحث والتنقيب والدراسة.

.8 .

مقدمة لترجمة حسن حلمي للمختارات الشعرية لهلدرلن الي صدرت عن دار توبقال المغربية.

في صحبة هلدرلين داخل كوخ هايدغر

علي حسين

وسأبقى ابناً للأرض
للحب خلقت وللألم «

هلدرلين

من بين كل الزائرين للمكتبة التي كنت أعمل فيها، كان الشاعر الاردني الراحل خيري منصور – وكان يعمل آنذاك في مجلة الاقلام – يمثل بالنسبة لي دليلا حيويا للقراءة. قال لي يوماً ان بعض الكتب تصبح مثل الاصدقاء لا نستطيع الاستغناء عنها، وان قوة هذه الصداقة تعتمد على اهمية الكتاب، فهناك صداقة تعيش حياة طويلة وأخرى لها حياة قصيرة، وفي مرات كثيرة كنت احاوره حول الكتب التي اقرأها. في ذلك الوقت كان خيري منصور ينشر سلسلة مقالات بعنوان " تجارب في القراءة " صدرت فيما بعد ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة، والتي كانت واحدة من اهم وابرز تجارب النشر في العراق، في واحدة من زياراته للمكتبة سألني عن كتاب بعنوان " هلدرلين " للمترجم والباحث المصري عبد الغفار مكاوي، والكتاب صادر ضمن سلسلة نوابغ الفكر الغربي، اخبرته بتوفر نسخ من الكتاب، وكنت انا مغرم بهذه السلسة اجمع كل ما يصدر عنها، ومن ضمنها كتاب هلدرين، لكنني لم اكن قد قرأته بعد، فاسم الشاعر كان غريبا بالنسبة لي، اعرف عنه معلومات قليلة، فهو شاعر اصيب بالجنون، ومات وهو يعيش عزلة اختارها لنفسه، هذه المعلومات حصلت عليها من قراءة المقدمة التي كتبها المترجم والكاتب المسرحي يسري خميس لمسرحية " مارا صاد " تاليف بيتر فايس احد ابرز كتاب المسرح الالماني بعد الحرب العالمية الثانية، حيث يخبرنا يسري خميس ان بيتر فايس كتب مسرحية بعنوان " هلدرلين " قدمت عام 1971 بمناسبة مرور 200 عام على ميلاد الشاعر الالماني، وفي المسرحية يجمع بيتر فايس بين هلدرلين وكارل ماركس وجيفارا، ونشاهد الشاعر الالماني وهو يتحدث عن المجتمع الذي يحلم فيه، وعن سبب اختياره العزلة عندما كان في السادسة والثلاثين من عمره ليؤكد فايس ان هلدرلين ليس هو المريض، وانما المريض هو العالم الذي عاش فيه وايضا العالم الذي نعيش فيه اليوم

كان بيتر فايس بالنسبة لي آنذاك واحدا من ابرز الملهمين منذ ان اكتشفته في منتصف السبعينيات، عندما وقعت بيدي مسرحيته " مارا صاد "، بعدها اخذت ابحث عن كل ما ترجم له من اعمال مسرحية.. فهو الكاتب الملتزم بقضايا الناس، ماركسي الهوى لكنه ضد الاستبداد الستاليني، يعترف ان تطوره الفكري مر بمراحل متعددة، من التجريب الى السريالية، الى الشك والعبث، الى الموقف الماركسي.

لم يغادر ذهني حديث خيري منصور عن هلدرلين، وقررت البحث عن المسرحية التي كتبها بيتر فايس عنه، فوجدت فصولا منها منشورة في مجلة فكر وفن في عدد خصص للشاعر الالماني بمناسبة ذكرى ميلاده.

ما الذي اراد أن يقوله بيتر فايس الكاتب الماركسي عن شاعر عُرف بنزعته الفردية. يقول بيتر فايس عندما كنت في الثانية عشرة من عمري اقمت مدة نصف عام عند اقارب لي في مدينة " توبينغين " بجوار برج هلدرلين. وقد جال في مخيلته آنذاك شبح الشاعر المريض عقليا يقول فايس: " قبل ان اعرف اشعاره بفترة طويلة. كان قد سجن نفسه في عزلة قاربت الاربعين عاما لا يحيا خلالها سوى في احلامه الخاصة "، فوجد ان حياته ومواقفه لا تختلف عن مارا احد قادة الثورة الفرنسية، والذي كان يحيا لاحلامه الخاصة به، مريض، معزول، لكنه ممتلئ ببوتيبيا يعيشها في خياله.. كتب فايس مسرحية هلدرلين بعد الانتهاء من مسرحية " تروتسكي في المنفى "، التي يطرح من خلالها الحلم بالثورة، فيما نجد في هلدرلين العجز عن تحقيق الثورة. يكتب فايس ان هلدرلين لم يتبق له " سوى الانسحاب الى نفسه، لقد وقف وحده بوعيه الثوري مقابل عصر رجعي، وتحول عنه سائر اصدقائه مثل هيغل وشيلنغ وشيلر وتخلى عنه اساتذة الثقافة مثل غوته وفيتشه، وتكيفوا مع الوضع السائد. وبعد ان لقي تهكما وسخرية لم يبق له سوى السجن. فكان البرج الحل الافضل له " – عصر بيتر فايس وأعماله مجلة الاداب الاجنبية 1996 –.

في المشهد الأخير من مسرحية هلدرلين يقول ماركس الشاب للشاعر المجنون: ثمة طريقان للتحضير لتغيير جذري، الاول تحليل دقيقي للوضع التاريخي المحدد، الثاني صياغة اعمق التجارب.

هل كان هلدرلين (فيلسوف ام شاعر؟)، هذا ما طرحته على خيري منصور بعد اسابيع كنت فيها قد انتهيت من كتاب عبد الغفار مكاوي، وقد وجدت ان مكاوي كان اثناء كتابته هذه الدراسة عن هلدرلين يعاني ايضا من " خيبة الامل في الناس والحياة "، حتى انه قرر ان يتقمص روح الشاعر الحزينة. تحدثت مع خيري منصور عن هلدرلين وعن كتب اخرى يمكن ان تساعدني في معرفة شخصيته، فاخبرني ان هناك كتاب بعنوان " الفلسفة والشعر " للفيلسوف الالماني هايدغر ترجمة عثمان امين، يتضمن فصولا خاصة عن هلدرلين الذي كان هايدغر احد دراويشه ومن المغرمين بشعره. في ذلك الوقت لم اكن قد قرأت شيئا لهايدغر، وعلاقتي به تقتصر على مقال كنت قد قرأته في واحد من اجمل وامتع كتب عبد الغفار مكاوي بعنوان " مدرسة الحكمة " وضع له عنوان " حذاء فان كوخ " يقدم من خلاله مفهوم هايدغر للفنون.

في العام 1934 يبدا مارتن هايدغر اولى محاضراته عن هلدرلين، وهي المحاضرات التي جمعت فيما بعد بكتاب بعنوان " ترنيمة هلدرلين " صدر عام 1942 وفي هذه المحاضرات يطرح هايدغر سؤالا: وما الحاجة الى الشعراء. وهذا السؤال مستمد من بيت شعر لهلدرلين يقول فيه: " وما الحاجة الى الشعراء في هذا العصر البائس ". يتساءل هايدغر: ما الذي يميز هلدرلين عن كل شعراء الارض ويجعل منه التجسيد الاعلى لجوهر الشعر؟ فيجيب انه الصدق المطلق مع الذات، فهو الصدق الذي وصل به الى حافة الجنون.: " لم يشأ هلدرلين ان يتورط مع الواقع او ان يساوم على حقيقته الداخلية. وفضل ان يفشل في الحياة على ان ينجح بشكل رخيص. بل ان جنون هلدرلين خلع على شعره هالة من السحر والجاذبية، فلأنه اصبح مجنونا، لأنه عاش على حافة الجنون حتى قبل ان يجن فعلا، فإنه استطاع ان يرى ما لا يرى بالعين المجردة، استطاع ان يلمح من ثقب الباب ذلك العالم الآخر الذي يستعصي علينا ونحن في حالة العقل والمنطق " – هلدرلين وماهية الشعر ترجمة فؤاد كاملوهناك ترجمة عثمان امين الفلسفة والشعر.

في مقدمة كتابه يطرح هايدغر هذا السؤال: لماذا اخترنا هلدرلين؟ ألكي نبين جوهر الشعر؟. ثم يضيف: " أما كان يجدر بنا ان نختار هوميروس او سوفوكليس، فيرجل او دانتي، شكسبير او غوته؟ وهل يعني إختيارنا هذا ان جوهر الشعر لم يتحقق في نتاج هؤلاء جميعهم " – انشاد المنادي ترجمة بسام حجار –. ويقول هايدغر انه لم يختر هلدرلين لان اعماله تحقق الجوهر العام للشعر، بل لانه يرى فيه " شاعر الشاعر ".. ويركز هايدغر على مفهوم هلدرلين للغة التي يرى فيها " اخطر الملكات البشرية "، ولعل مراجعة لفلسفة هايدغر سنجد ان علاقته باللغة علاقة خاصة جدا، لدرجة انه يحرص على خلق الانطباع بانه قد اخرج افكاره الفلسفية، من اعماق اللغة نفسها. ويجد هايدغر ان هلدرلين عاش الشعر كتساؤل مفتوح وكملاذ يلجأ إليه إذا ما اظلمت الدنيا في وجهه. وهي في الحقيقة اظلمت كثيرا في وجهه حتى فقد عقله وهو في السابعة والثلاثين من عمره وعاش نصف حياته الثاني في متاهات الغياب.

لم يعش يوهان فردريش هلدرلين المولود في العشرين من آذار عام 1770، وهو العام الذي ولد فيه هيغل وقد ارتبط الاثنان بصداقة حميمة، كما عاش شاعر المانيا الشهير يوهان غوته مرفها تحيط به نخبة من صفوة القوم، وإنما عاش فقيرا ومريضا يؤمن ان مهمته في الحياة ان يظل يحمل لقب شاعر فقط، كل ما نعرفه عن طفولة هلدرلين أنه ولد في مدينة صغيرة اسمها " لاوفن " تابعة لمحافظة باڤاريا في عائلة متوسطة، الاب يعمل معلما في مدرسة الدير، ويدير في الوقت نفسه الاملاك التابعة للكنيسة، اما الام فكانت لا تفارق الصلاة وتتمنى ان يصبح ابنا قسا مثل والدها، لذا قررت ان يدخل ابنها مدرسة الدير، لكن الطفل سيصاب بعدة فواجع اولها وفاة ابيه بعد عامين من ولادته، وزواج امه من رجل آخر سيتوفى بعد خمس سنوات، هذه الطفولة التي يصفها ستيفان تسفايج بانها كانت موطنه الاول برغم ما تخللها من مآسي، ويقتبس تسفايج احدى رسائل هولدرلين التي يقول فيها: " للأسف الشديد ! لقد أخاف العالم ذهني، منذ نعومة أظفاري، الشيء الذي جعلني أنطوي على نفسي " – بناء العالم ترجمة محمد جديد –. ويرى تسفايج ان ازمة هلدرلين تكمن في الصراع الذي عاشه بين طفولة هادئة، وواقع حياتي، قاسي ولهذا، وان اشعار هلدرلين تعبير دقيق عن مأساته الشخصية. في المعهد اللاهوتي الذي دخل اليه عندما كان في الثامنة عشر من عمرة سيتعرف الى الفيلسوفين هيغل وشيلنغ، وقد بدأت هذه الصداقة عام 1790 وانتهت عام 1793، لكن الرسائل بين الاصدقاء ظلت مستمرة تتميز بالاحترام والتقدير لهلدرين. وفي غرفة النوم التي جمعت العقول الكبيرة الثلاثة تم الحديث عن اهمية الفلسفة والشعر في استنهاض روح المانيا.. وكانت الصداقة بين هيغل وهلدرلين اشد عمقا من صداقته مع شيلنغ، ولم يكن السبب انهما من سن واحدة، بل يرجع الى التقدير الذي كان يحمله كل منهما الى الاخر،، لكن رغم انقطاع صلة شيلنغ بهلدرلين، إلا ان الفيلسوف الالماني لم يستطع ان ينسى صديقه الشاب فكتب الى هيغل عام 1795: " هلدرلين انني اصفح عن مزاجه المتقلب الذي لم يجعله يفكر فينا ابدا ". تأثر الشبان الثلاثة بفلسفة فيتشه المثالية وكان هلدرلين اكثرهما ارتباطا باستاذه وقد كتب في رسالة الى شقيقه: " فيتشه الآن روح بنا، واحمد الله انه كذلك، فلست اعرف رجلا سواه له ما له من الطاقة وعمق الفكر ". في المقابل كان الاصدقاء الثلاثة، يبحث كل منهم عن مملكة الله التي يجد الانسان فيها سعادته وسيراها كل منهم على طريقته الخاصة.. يكتب هلدرلين الى هيغل في واحدة من رسائله يذكره بمملكة الله التي يسود فيها الحب والتآخي، ويكتب هيغل الى شيلنغ قائلا: " لتأتي مملكة الله، ولنعمل بايدينا على تحقيقها ولا ندعها تسترخي فارغة في حجرنا، ليبق العقل والحرية قدرنا وكلمة السر بيننا. ولتكن الكنيسة غير المنظورة هي النقطة التي نلتقي عندها " – عبد الغفار مكاوي هلدرلين –.

في الجامعة راح هلدرلين يكتشف لأول مرة الفكر التنويري من خلال افكار لايبنتز، وفولتير، وكانط،، وجان جاك روسو.. في ذلك الوقت كان السؤال الكبير المطروح على مثقفي ألمانيا هو: كيف يمكن أن تخرج المانيا من الرؤية القديمة للعالم وتعتنق الرؤية العلمية والفلسفية للعالم؟ سوف يدفع هولدرلين ثمن هذا الخروج، عندما اصر على رفض العالم القديم المتفسخ،وشعر بالغربة تحاصره. تحت تاثير افكار فيشته يكتب هلدرلين قصيدته " الى الالمان " والتي يتساءل فيها: هل نحيا من رقادنا عن قريب؟ كان شاغل هلدرلين هو معرفة وظيفته كشاعر، ولعل موقفه من الثورة الفرنسية واعجابه الشديد بكتابات جان جاك روسو جعلته يشعر بخيبة امل من ان هذه الثورة ليس لها صدى في بلاده المانيا. بدأ المرض يحاصره في فترة مبكرة من حياته، إلا ان المأساة الحقيقية في حياته كانت موت محبوبته " زوزيت غونتارد " التي تعرف عليها عندما كان يعمل مدرسا وقد اصيب على اثر سماعه خبر وفاتها بانهيار عصبي، وشخص الاطباء حالته بانها اضطرابات عقلية، عاش الستة والثلاثين عاما الاخيرة من حياته في حجرة صغيرة سميت " صومعة هلدرلين " في بيت احد النجارين، بعد ان فرضت عليه الوصابة، لم تعرف اهمية هلدرلين إلا بعد ان اشار اليها نيتشه باهتمام، لكنها حظيت باهتمام فلاسفة القرن العشرين الذين وجدوا في كتاباته تفكيراً فلسفياً يسلط الضوء على لغز الوجود وسر الكون، كان هلدرلين يؤمن بأن الشعر ليس عملا فرديا وانما فعل تاريخي مؤثر في العالم. فالشعر حامل رسالة الإنسان. والشاعر أعمق الناس نفاذاً إلى جواهر الحقائق.. في عام 1807 اعلن الاطباء يأسهم من حالة هلدرلين، وقالوا ان الشاعر لن يعيش اكثر من سنتين، لكنه سيعاندهم ويموت بعد ست وثلاثين عاما، في ليلة السابع من حزيران عام 1843. والى جانب سريره وجد صاحب البيت هذه الابيات التي كانت اخر ما خطته يده:

انا لاشيء، وحياتنا
ماعادت تحلو في عيني

عاش هايدغر معظم حياته في كوخه داخل الغابة السوداء حيث مارس عزلة هلدرلين وتأمله والبحث عن معنى الوجود، وفي الكوخ اعاد تأمل شاعره المفضل حيث ساعده هلدرلين على " إلقاء الوجود كاملاً في القرب الواسع لجوهر جميع الأشياء «.

استعيد هلدرلين في ذكرى رحيله، واستعيد معه بعض مغامراتي مع الكتب واتساءل دوما: هل القراءة سبب لأن تمتلئ حياتنا بالكتب، يكتب اندريه مالرو: " ليس هناك كاتب دون مكتبة " في العام 1922 يكتب الشاعر الفرنسي أراغون: " في كل ما أقرأ تقودني الغريزة بقوة شديدة الى البحث عن الكاتب وإيجاده وتفرسه.. وهذا ما حاولته مع هلدرلين اردت تفرس ملامحه فلم انجح، وظلت عبارته تطاردني: " ان يكون المرء ذاته، هذه هي الحياة.. ولسنا غير حلم بها «

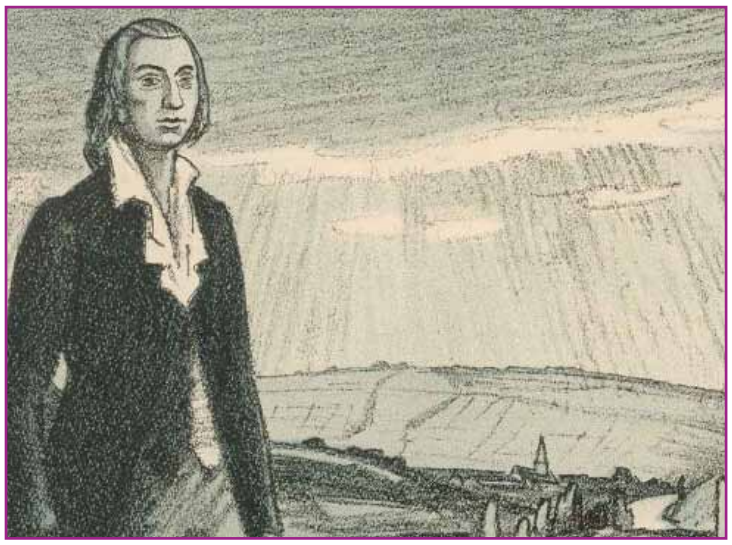

متى اكتشف الفرنسيون هولدرلين؟، سؤال مطروح بشكل سيئ، كان ينبغي أن نتساءل أولا: متى اكتشف الألمان هولدرلين؟، ففي أرضه وموطنه ظل هولدرلين مجهولا حتى بدايات القرن العشرين، أي بعد قرن على كتابته لقصائده الأساسية. فعندما اكتشف الشعراء الألمان ستيفان جورج، وريلكه، وتراكل، أعماله، جنّ جنونهم! وتساءلوا: كيف يمكن لشاعر ضخم في مثل هذا الحجم والمستوى أن يجهله معاصروه؟ كيف يمكن أن يبقى منسيا وهو الشاعر الأهم الذي أنتجته اللغة الألمانية في تاريخها كله؟، عندئذ أصبح مرجعيتهم الشعرية، وراحوا يتحدثون عنه في كل مناسبة ويستلهمونه ويذيعون اسمه في الأمصار. وعندئذ سمع به جيرانهم الفرنسيون، فراحوا يبحثون عنه أيضا ويترجمون أشعاره. والواقع أنهم وجدوا بعض أوجه الشبه بينه وبين شاعرهم رامبو. فكلاهما لم يحظ بالشهرة في حياته، وكلاهما لم يُفهم من قِبل معاصريه.

هولدرلين.. الغريب في عصره

هاشم صالح

لم ينتظر رامبو قرنا كاملا لكي يعترف بـه الفرنسيون، ولكـي يبحثـوا عـن مخطوطـات قصائـده في كل مـكان وينشروهـا. رامبو انتظـر فقط ثلاثين سنـة لكي يصبح الشاعـر الأساسي في فرنسا. لكن التشابه الأساسي بينه وبـين هولدرلين، هـو أن كلا منهما يجسـد جوهر الشعر وراديكاليته الحيوية في قصائده، كلاهما يجسد البراءة المطلقـة للشعـر إذا جـاز التعبـير. إذا كان هنـاك شاعر لا يغشّ في شعره، فهو هولدرلين أو رامبو (وكذلك بودلير بالطبع وبعض القلة مـن الآخرين). وقد عاش هولدرلين الشعر كتساؤل مفتوح وكملاذٍ يلجأ إليه إذا ادلهمّت الدنيا في وجهـه. وقـد ادلهمّت كثيراً حتى فقـد وعيه وعقله في نهايـة المطـاف.. كان أول شاعر فرنسـي اهتم بهولدرلين هـو: بيير جـان جـوف (1887-1976). ففي عام 1930، نشر كتابا بعنوان: «قصائـد الجنون لهولدرلين»، وكانت جـرأة ما بعدها جـرأة، أن يهتم شاعـر كـ«جوف» بقصائد محتقـرة من قِبل النقاد الألمـان أنفسهم، لأنهـا موصومة بلعنـة الجنـون.. لكنهـا قصائـد مـن أجمـل مـا تكـون، وتستحـق أكثر من الاهتمام. لنستمـع إلى هذه القصيدة التـي يُقال بأنها آخر ما كتبـه هولدرلين قبل أن يفقد عقله نهائيا:

مـا الباحثة جنفييف بيانكي، فقد كانت استاذة في جامعة ديجـون ومشهـورة بدراساتهـا وترجماتهـا عـن الأدب الألمـاني. وقد نشـرت عـام 1943، ترجمة كاملـة لأشعار هولدرلـين وقالـت في مقدمتهـا: هولدرلـين، أو الشاعر. لم يجسد أحـد جوهر الشعر، وبراءتـه، وفجيعته، مثلما جسدهـا هولدرلـين. ولد في عائلـة شريفـة ومتواضعة. وعاشـ طفولـة متقشفـة وصارمـة في ظـل الأديـرةٍ والكنائس لمنطقـة «السواب» الألمانية. فقـد أباه صغيراً، ودخـل إلى المدارس الدينيـة لكـي يرضـي أمـه وجدته اللتين كانتا تحلمـان له بمستقبل رجل دين في الأرياف.. أمـا هـو فـكان يحلـم بمستقبل آخـرٍ مختلف تمامـا. كان يريـد أن يصبـح شاعـراً، وشاعـراً فقـط. وفي جامعـة توبنجن، راح يكتشف الشعر الإغريقي، والفن الإغريقي، والأسطورة الإغريقية. ولا يمكن فهم الكثير من نصوصه إلا إذا اطلعنـا على كل ذلك. وهنـاك تعرف على شباب من جيلـه، وبعضهم سوف يصبحـون في ما بعد أهم فلاسفة ألمانيـا: هيغل وشيلنغ. هؤلاء رفاقه علـى مقاعد الدرس، هـو سـوف يصـل إلى قمـة الشعر، وهـم سيصلـون إلى قمـة الفكر. وفي الجامعـة اكتشف أيضـا لأول مرة الفكر التحريـري والتنويـري: أي فكر لايبنتـز، وكانط، وجان جـاك روسو. فكيف يمكنه بعد كل ذلـك أن يصبح كاهنا؟. وعلى الرغم من أنه كان يصعب عليه تخييب أمل أمه فيه، إلا أنـه قرر الهرب من هـذه المهنة التي ترعبه. يضاف إلى ذلـك أنه كان يكـره الاستقرار أو الثبـات في مكان واحد. وكالشعـراء الذين يشبهون الفراشات الجميلة، كان يحب أن يتنقـل من مكان إلى آخـر. كان يحب الرحيل والتغيير خوفـاً مـن الضجـر.. وهكـذا راح يعيشـ كمدرسـ فقير لأبنـاء العائلات الغنيـة أو الأرستقراطيـة.. وراح يتنقل بين مدن ألمانيا، وسويسرا، وفرنسا، على هوى الظروف والمناسبات. لم تبق مدينة إلا ومرّ بها هولدرلين، وتعرف على نهرها وشوارعها، على وديانها وجبالها..

ثـم تقـول جنفييـف بيانكـي: إن شعر هولدرلـين مرتبط بالطبيعـة بشكل عام، أيا كانت وحيثما كانت، وليس فقط بطبيعـة قريتـه ومسقط رأسه، وإن كان قـد ابتدأ بالطبع بالتغنـي بطبيعـة بـلاده التي كانـت ساحـرة. فقصائده تتحـدث عـن الفصـول والسنـين، عـن مواسـم الحصاد والقطاف، عن النمو والانحطاط، عن الحياة والموت، عن الفـرح والألم، عن الأزهار والأشجار.. إلخ، وكان ينصهر بالطبيعـة أو يذوب فيها ذوبانـا ويعتبر مظاهرها بمثابة العناصـر المقدسـة أو الإشـارات الإلهيـة، ربمـا لم يتغنّ شاعـر بالطبيعة مثلمـا تغنّى هولدرلـين. فالطبيعة عنده لها روح وحياة مثلنا نحن تماما. وعلى أي قصيدة فتحنا ديوانه نجد الطبيعة حاضـرة بشكل ما. لنستمع إلى هذا المقطعٍ من قصيدة بعنوان «تماما، كما في يوم الراحة.. »:

تماماً، كما في يوم الراحة، الفلاح
يخرج مع الفجر لكي يتفقد حقله
بعـد الليلـة المشتعلـة بأنـوار الـبرق، رسـول النـداوة والطراوة،
الـبرق الـذي سقط دون توقـف طيلة الليـل. ولا يزال في البعيد يزمجر صوت الرعد،
والنهر يعود إلى شواطئه،
والأرض الندية تخضوضر،
وتحت المطر الكريم للسماء،
الكرمة تختلج مشبعة بالماء، وأشجار الروضة
تلمع تحت شمس هادئة.

هذا الفرح البدائـي بالطبيعة يتجلىٍ لنا في معظم قصائد هولدرلـين. وهو فرح ليس مرتبطاً بمنظر معين، أو فصل مـا، أو ذكـرى محـددة تمامـا. إنما هـو الفـرح بالهواء، والسمـاء، والأضـواء، والمـاء، أينمـا كانـت. إنـه فـرح بالطبيعـة الأم، الطبيعـة البكر، الطبيعـة الخالدة ودورة الفصـول. لكن هنـاك عنصر واحـد من عناصـر الطبيعة يفضلـه هولدرلين على غيره هو: الأثير. وهل هناك أخفّ من الأثـير؟. إنه مادي وغير مـادي في آن معا، وهو أكثر صفـاء وشفافية من جميع عناصـر الطبيعة الأخرى. كما أنه يرمـز إلى أعلى وأسمى ما يقـدره هولدرلين: الروح. إن الأثـير هـو الطبقة التي تعلـو على الأرضـ، أو تغلّف الأرض. إنه زرقة السماء حيث تزهر النجوم!.. إنه أشعة النور التي تحنو، بابتسامة، على الأحياء لكي تباركهم أو تقبلهـم. وفي قصائده تغنّى بـه هولدرلين بصفته أساس الحياة، وموضوع الحنين لجميع الكائنات.

أمـا الشاعـر فيليب جاكوتيـه، فقد قـدّم الأعمـال الكاملة لهولدرلـين باللغة الفرنسية. وقد ركـز أيضا على انبهاره بالطبيعـة ومدى هيمنة هذا الموضـوع على شعره. وكان ممـا قاله: نعلم أن بعض قصائـد النضج الكبرى كانت قد كُرّسـت للأنهار مثـل الراين، والدانـوب، وسواهما. وما انفـك يتغنّـى بالأنهـار التي شاهدهـا - أو لنقـل عاشرها - حتى نهايـة حياته. وقد كتب مرة رسالـة إلى أمه يتحدث فيهـا عن نزهـة في الطبيعة قام بها مع بعضـ زملائه، أو وحـده لم نعد نـدري. وفجـأة، عندما ظهر له نهـر الراين العظيم في إحـدى المناطـق الألمانيـة، أصيـب بالذهول. يقـول لهـا بمـا معنـاه: «عندمـا رأيـت المشهـد أحسست وكأني أبعـث من جديـد. فأبعاد مشاعـري أو أحاسيسي تزايـدت وكبرت، وقلبـي راح ينبض بقوة أكثر، وروحي راحـت تنطلق وتتسع على مدّ النظـر.. إنه الراين! شعلة الحيـاة في ألمانيـا.. وعيناي بقيتـا مذهولتـين. ولم أعد أعـرف ماذا أرى، وتجمّدت في مكاني كتمثال من حجر!.. ». وهكـذا تحولـت رسالتـه إلى قصيـدة لمجـرد أن تطرق لذكـر النهـر.. ما الـذي أذهله؟ النهـر، وليس فكـرة النهر الميتافيزيقيـة. النهـر الحقيقي في حركـة وأضواء مياهه. النهـر في انسيابه وغزارته وعظمتـه. وأمامه راح يشعر بالحاجـة إلى الصلاة في حضـن الطبيعة. لقد خشع أمام النهـر كإحدى تجليات القدرة الإلهيـة.. ولذا فإن الطبيعة بأزهارهـا وعصافيرهـا، بأنهارهـا ومياههـا ترفع صلاة للخالـق جلت قدرته. لنستمـع إليه يتحدث عن نهر الراين وكأنه إنسان حي، أو شخص يتكلم، وله تاريخ!

أمـا الباحثة فرانسواز دستور أستاذة الفلسفة في جامعة السوربـون، فتقـول بمـا معنـاه: طيلـة حياتـه كلها ظل هولدرلـين يحتفـل بالطبيعـة في شعـره. فمنـذ البدايات الاولى راح يكتـب قصيدتـه الجميلـة: نشيـد مرفوع إلى الطبيعـة. في تلك الفترة كانت العاطفة قد أصبحت الكلمة المفتاحيـة لكل شعر غنائي. ويبـدو أن عواطف هولدرلين لم تكـن تتجلى إلا من خلال علاقته بشـيء آخر يتجاوزه ويعلـو عليـه، شـيء يكرّمه ويمجـده. وهـذا الشيء هو الطبيعة. في الواقع ان هولدرلين ولد في أحضان الطبيعة إذا جاز التعبير. فمنطقته، أو مسقط رأسه بالأحرى، كان جميلا محاطا بالغابات وحقول الكرمة ويخترقه نهر كبير هـو نهر «نيكار». وكان حساسـا جدا لمناظر الطبيعة حتى ليكاد يـرى فيها انعكاسا لعواطفه الذاتية. فهو يقول مثلا بأنـه يرى في الطبيعة "مكانـا لدموعه، وعالما لحبه". ثم يردف قائـلا: "هناك حيث كان قلبي لا يزال يستدير نحو الشمسـ، كما لو أنهـا فهمت لغته". لم تكـن الطبيعة أبدا ميتة أو حيادية بالنسبة لهولدرلين.

على العكس، كانت حيـة تناجيه وتكلمه، تضحك وتبكي، أو تغضـب وتثور، طبقا لـدورة الفصول، أو طبقا لحالته النفسيـة الداخلية. لم يكن هولدرلين قـادرا على تصوير عواطفـه إلا عـن طريق ربطها بالطبيعـة. يحصل ذلك كما لـو انـه كان يعيش تحـت هيمنـة الطبيعة، أو كمـا لو أن القـوى الطبيعية هي وحدها القادرة على إيقاظ روحه أو إلهـاب مشاعره. هنا تتبدى ابتكاريـة هولدرلين بالقياس إلى الشاعريـن الكبيريـن اللذيـن سبقـاه مباشـرة وكانا بمثابـة الأستاذيـن لـه: غوته وشيلـر. من المعلـوم أنهما استهـزآ بترجماتـه لسوفـوكل اليونـاني بـل واحتقـرا قصائـده عندمـا كان لا يـزال في مطلـع شبابـه وبدايـة حياتـه الأدبيـة. فشيلـر رأى في قصائده طغيانـا للنزعة الذاتيـة او العاطفية، هـذا بالإضافة إلى نـوع من الروح الفلسفية أو العمـق الفلسفي. وفي رأيه أن الشعر ينبغي أن يبتعـد عن الفلسفـة. وأما غوته فـرأى أن تصوره عن الطبيعة ناتج عن التاريخ الطبيعي أكثر مما هو ناتج عن الشعـر، وبالتالي فهـو تقليدي في نهايـة المطاف. وهكذا فشل شاعران كبيران في معرفة قيمة هذا الشاعر الناشئ هولدرلـين. والواقع أن علاقة غوته بالطبيعة تختلف كليا عن علاقـة هولدرلين. ومـن هنا سوء التفاهـم. فغوته لم يولـد في أحضـان الطبيعـة البكر كما حصـل لهولدرلين، وإنمـا ولـد في عائلـة بورجوازيـة كبـيرة وفي المدينـة الضخمـة مدينة فرانكفورت. وبالتالي فقد كان يبحث عن الطبيعة في الحدائق العامة للمدن الكبرى!. إنها الطبيعة المدجنـة والمنسقـة بشكل هندسـي رائع. ولكنهـا طبيعة مقلمـة الأظافـر إذا جـاز التعبـير. وأما هولدرلـين، فكان يكتشف قوى الطبيعة حوله عندما يستيقظ صباحا ما ان يخطـو بضع خطـوات خارج بيته الريفـي. وقد استبطن الطبيعـة في داخلـه حتـى لكأنها جزء لا يتجـزأ منه. كان يصغـي إلى صوت الطبيعة وكأنـه يتحدث إليه شخصيا. لكن لنستمع إلى صوته الذي لا يضاهى من حيث الصفاء، من حيث البراءة والنقاء:

عندما سأصبح بعيدا، مكاني
سوف تتحدث أزهار السماء، الكواكب المضيئة،
وتلك التي، بالآلاف تبزغ من الأرض،
حاضرة في ألوهيتها الطبيعة
ليست بحاجة إلى نطق، وابدا
لن تتركك وحيدا بعد اليوم بعد أن أحبتك،
ذلك أن اللحظة التي تبقى منها
لا تمحى..

هكـذا نجـد أن الطابع الحـي للزهرة ونطقها هـو أساس ظهورهـا في شعـر هولدرلين. وهـذا مضاد كليـا للزهرة الاصطناعيـة الخالية من الحيـاة، والباردة، برود الناس الاصطناعيين.

من قصائده:

المنظر

× عندمـا في البعيد البعيد تذهب الحيـاة العائشة للبشرٍ، هناك حيث تلمع في البعيد البعيد أزمنة القطاف، حاضرةً أيضـاً الحقـول الفارغـة للصيـف وتبـدو، في صورتهـا القاتمة، الغابة. لتضف الطبيعة إلى صورة الأزمنة، لتبقَ إذن ولتنزلـق الأزمنـة بقـوة، آتية من الكمـال، والأعالي أعـالي السماء تشرق للإنسـان في الوقت الذي تُتوّج فيه الشجرة بالأزهار.

الراين

كل مـا يولـد من نبع صـاف هو سر وحتـى الشعر لا يكاد يجـرؤ علـى كشفه ذلـك انك كمـا تولـد، تظل، مهمـا تكن الظـروف والتربيـة قوية، فلا شـيء أقوى مـن الولادة، وأول شعاع في النهار من حظ الوليد - الطفل، ولكـن من هو أفضل مـن الراين، لكي يولد حرا، لكي يظل حرا، حياته كلها، ولكي يحقق وحده رغبة قلبه؟ من أفضل منه، ذلك الراين الذي تحدر من قمم الجبال، من الحضـن المقدس، الخ.. ثم لنستمـع أيضا إلى هذا المقطع من نفس القصيدة:

أبداً، أبداً لـن ينسى الراين طفولته، ذلك انه يمكن لبيوت البشـر أن تهدَّم، وقوانينهـم ووجودهم أن يتغير، قبل أن ينسى نهر كهذا أصله والصوت البريء لشبابه..

عن الشرق الاوسط

هولدرلين.. الصخب المتوهّج

ترجمة - أحمد حميدة

العمل الشّعري هو قبل كلّ شيء أثر حياة. خارج صقيع الكتابة، تتبدّى الرّوح فجأة، فتفجّر المرآة السّاخرة للجمال، وترتمي عارية في دهشة مصحوبة بالدّوار، فماذا يتبقّى بعد ذلك؟ بالكاد في اللّغة المتكلّسة، بعض الوميض، علامات غامضة، كتلك الآثار الغريبة التي تخلّفها الضّاعقة وتتوارى أمامها الغيوم، بعض من جمر ميتافيزيقيّ، إشارات لا ندرك كنهها، ولكنّنا نشعر مع ذلك أنّها مثقلة بصوب غزير من الدّلالات الملحّة الوافدة من الأعالي. وفي الهواء الذي تفوح منه رائحة الأوزون، والذي يتلاشى ثقله، تتراقص شفافيّة متملّصة، منفتحة على الأبديّة. وها إنّ الصّمت الفذّ، منتصراً.. يتقدّم في الطّرقات التي غدت منفتحة، والتي لن تنغلق من جديد. لقد ألقى الموكب اللاّمرئيّ بأقنعته، وكلّ بؤس منحوس غدا منصرعاً. إنّه النّور الذي بات منهمراً!

قريب هو الخالق، وصعب إدراك حقيقته
ولكن حيثما تحلّ النّوائب، تشرّع أبواب للنّجاة..
عندما كنت صبيّاً، كان يخلّصني من صراخ البشر ومن سياطهم.
موكب الكلمات يعبُر من عالم إلى آخر. ومن الإنسان، يستعيد الشّاعر، كامل الحريق لحريّته الموجعة.
في سالف الأيّام، كان الشّعراء
يقولون، وهم يتحدّثون عن أنفسهم
إنّهم أمسكوا بجسارة العرفان
أمّا نحن، فمن الشّقاء نجتني الغنائم..
ظلال مرعبة!
في ما مضى، كان ثمّة بلاء ومعاناة، كان ثمّة إنسان ممزّق، والكثير من الدّم المجبول والمطحون. كان ثمّة صراخ متكرّر، وفي كل الأنحاء، ظلال مرعبة! كلّ الأشياء كان يهزّها ارتجاف عميق، حمل ثقيل وفناء! كان ذلك الإنسان يحمل اسماً، وبداخله شخصٌ ما، متوجّعٌ، يصيح السّمع. إنّه الشاعر! شخصٌ ما يجازف بملء كيانه، ولا قدرة له على التحكّم في نفسه، كان يمعن في الانحناء على خطر متربّص، متمادياً في السّعي باتّجاه الرّوح، وهو يمتشق ذلك الصارم المتوهّج: الكلمة! وكانت له تلك الجسارة المثخنة بالقساوة والجراح، التي يلوّح بها المحارب الرّوحيّ، حين يقبل أعزل على المخاطر، تلك الجسارة المشوبة بالصّبر والتهيّج، التي تسبقه مثل البريق، بيرق دمه الموهوب لرياح الأعالي، وجوده، استرخاء وتوجّع. لقد اختُطف، أسقط وابتلع في الدوّامة الباطنيّة لعزلته، تلك العزلة الدوّارة العموديّة، التي لا تنفتح على غير عرفان الحضرة الربّانيّة.
حشد الارتياعات
غير أنّ الإطباق على روحه، والانقضاض على حواسّه المنفتحة، المحتدمة، لم يأت من حشد الارتياعات المتوقّعة، أو الظّلال الخبيثة أو السّموم المستكنّة بالدّاخل. كلاّ! لقد كان ضياء مبهراً، ساطعاً حدّ القساوة، ضياء لا ظلّ له ولا وميض، وقد اندفع كلّ ذلك بداخله، مرتدّاً من الكلمة ذاتها، لينساب مع كلّ حاسّة من حواسّه، وينسفها، ويجعلها تتشظّى. وإنّه لأمر مدهش حقاً! كنّا نعتقد أنّ الهاويات الدّامسة، الهاويات السّفليّة، هي التي كان ينحني فوقها، فإذا به يُدفع نحو الهاويات العلويّة، هاويات الصّفاء!
«فبإمكاننا السّقوط إلى أعلى، كما هو السّقوط إلى أسفل»، هذا ما كتبه هولدرلين، وهو الذي كان يروم الحديث عن الفرح، ولكن ما مبلغ إدراكنا نحن لمعنى الفرح؟
الضّياء المفرط
أي نعم! إنّ الحقيقة الرّوحيّة تدمغ الحقيقة الأخرى المحزنة والقاسية. غير أنّ ارتطام فطانة الشّاعر بمجامع أعصابه، كان يدفع به إلى الصّراخ، منتهكاً بذلك الضّياء المفرط، كان عبثاً يحاول العودة إلى الوراء، خطوة خطوة، ليعتصم بالطّفولة، من حوله! وفي كلّ مشاهد الطّفولة، كما في عتمة القلب، لم يعد هنالك من أثر لظلّ! فما كان منه إلاّ أن استسلم للاصطخاب الثّابت والمتوهّج، ليمضي ويغترب، لأن إنسان الباطن ينبغي له أن يمكث في ليل جلدته.. !
رحاب الأبديّة
في جنونه الأبيض –ونحن ندرك سبب ذلك الجنون– أنكر هولدرلين اسمه، فلماذا تراه كان يخاطب كلّ إنسان له ظلّ وكثافة ما يصادفه، فيدعوه بصاحب السّيادة! سيّدي المستشار! صاحب السعادة! صاحب القداسة! لماذا كان يبدي مثل ذلك التّواضع العنيد، ليبدو على هيأة خادم مذعن، مطيع؟ إنّ الرّؤية المُتْلِفة لرحاب الأبديّة طيلة أربعين سنة، لن تترك فريستها سالماً. وحين حضرته الموت في ليل يوم 6 يونيو 1843، لم يتبقّ لها أيّ عمل لتقوم به، كان النّوم قد انصهر حينها في الموت!
وفي اللّحظة التي كان تابوته يوارى التّراب، أشعّت الشّمس من جديد بين الغيوم. لقد كانت تلك هي النّهاية، ولكنّها أيضاً البداية بالنّسبة لأعظم شاعر في العصر الحديث. هذا المجنون الذي لم تتسلّل إليه الظّلال ولا الديدان، ولكن، بعد هبوب عاصفة الحبّ، انتصب بداخله، قائماً، ساكناً وموجعاً، النّصل الشّامخ لزوال الأبديّة.
رقص ابنة الماء
«أكرموا الأرض ونظرتها التي قدّت من ذهب.. في عمق البحر حيث ترقص ابنة الماء، يُسمع رجع صدى القواقع والمرجان. في القصر البلّوريّ، الحفل يبلغ ذروته. حين كنت في المهد، كانت أمّي تأتيني بأزهار تلتمسها لدى الجنية الليليّة للغابات، وقد أحضرت معها ذات مرّة زنبقة كبيرة. وفي الليل، أمام مهدي، وضعت تلك الزّنبقة في كأس من الماء، فتفتّحت في ضوء القمر، فهل تبصرون قلب الضّياء في الكون الأزرق أيّتها الأوراق الزرقاء والذّهبيّة؟ لتنظروا إلى الزّنبقة وهي تتمدّد وتبرعم، لتتفتّحي أيّتها الزّنبقة! وإذا بها تنثر أمواجاً من ألوان وضياء وألحان، وإذا بكأس الزّنبقة يهب ما استكنّ فيه من عطر، وإذا بالجبال والأودية والهاويات، وبحماسة بالغة، تتنشق.. تشهق.. ثمّ.. تتوارى».
هكذا تحدّث هولدرلين، وهذا الذي نقرأ ليس بنصّ، وإنّما هو ما قد نسمّيه بـ«ليل الرّوح» المعتم لهولدرلين. ويبقى لنا الآن أثره الذي يشهد عليه.
ص للشاعر السويسري آرمل غيرن

عن صحيفة الخليج

هولدرلين.. وما تبقى يؤسسه الشعراء

صلاح محسن

لماذا الشعراء في الزمن الرديء؟ ما جدوى الشعر؟ ما قيمة الشاعر الذي يحترف مهنة الكلام؟ تتطاير الكلمات من فمه بألوان مملوءة بالفراغ، ما قيمة الشعر إنْ لم يكن رؤية، إن لم يكن نبوءة إن لم يكن كشفاً،إن لم يعمِّق معرفتنا بالوجود ويجعلنا ننصت لندائه. الشعر ليس للتسلية.

هولدرلين(1770–1843) يفيدنا هنا بالإجابة عن جميع هذه التساؤلات إلا أننا سنلقي نظرة عن بعض حياة هذا الشاعر الفذ ومن ثم نعود إليها، إذ إنّ حياته نفسها لا تنفصل عن هذا التساؤل اللامتناهي. ونظرا لتشعب هذه الأسئلة ستكون الإجابات مشتركة في الكلمات التالية، لأنّ ما يعنينا ليس الإجابة عن كل سؤال على حدة، بل لما تسلطه هذه التساؤلات من أهمية على هولدرلين.

بقي هولدرلين مجهولاً وشبه منسي،اكتشفه الباحثون قبل الحرب العالمية الأولى بقليل وحاروا في تحقيبه. أدبياً تحمس له الرومانتيكيون وبذلك رأوا أنَّ حياته وعذابه وجنونه تجعله واحداً منهم، وبذلك يكون رومانتيكياً قبل الرومانتيكية، من هنا أبُهر بشعره فيلسوف الأعماق مارتن هايدجر (ت1976) ووجد عنده الإجابة، فوصفه بشاعر الشعر، وبذلك يضاف إلى طراز خاص من الفلاسفة هم الشعراء الفلاسفة وهو طراز تقليدي ألماني يمتدُّ إلى الفلاسفة اليونان القدماء، ولا يختلف عنه الفيلسوف الفرنسي (جان فال) الذي يرى أن الشعراء وأهل الفن على نفس درجة الأهمية من الفلاسفة وليس من المستغرب عندما ينظر إلى أساتذته المفضلين دائماً من أمثال رامبو، وفان كوخ، وريلكه، وسيزان، باعتبارهم (منابع فلسفية).

هايدجر وبفعل هيامه بهولدرلين لم يكتف بالنظر إلى الشعر على أنه مصدر إلهام الفيلسوف فقط، بل ذهب إلى أنَّ الشعر يُعد ضربا من ضروب المعرفة يقود إلى تبصُرات وحُدوس وكشوف معرفية تتجاوز العقل والمنطق، والهيكل العظمي للغة ونحوها، ممكن تسميتها بالمعرفة الشعرية، فالشاعر يُطل على عوالم زاخرة لا مرئية، فإذا كان الفيلسوف ينصت للوجود، فإن الشاعر(الشاعر الحقيقي) قادر على الحوار معه واستنطاقه وسماع نداء المقدس وهي وظيفة نبوية بلا شك. فالشعراء على حدّ قوله:

أوعية مقدسة
تحفظ فيها خمر الحياة،
وروح الأبطال.

ظل شاعرنا باحثاً عن فردوس طفولته المفقود مثل طفل يُطارد طائرته الورقية التي انقطع خيطها الرفيع كروحه في يوم عاصف الريح، فالطفل عنده صورة حية للأمل، واليقينَ المحض للخير، إلى درجة أننا نستطيع اختصار الخير والجمال كُله في وجه طفل.

فالطفل خالد:

إنه بكليته على طبيعته، ولهذا فهو جميل.
إن قهر القانون والقدر لا يلامسه،
الحرية في الطفل وحده،
فيه السلام، وهو لم ينشق على نفسه بعد.
الغنى كامنٌ فيه، فؤادهُ لا يدري شيئاً عن ضنك الحياة.
إنهَ خالد لأنه لا يعرف شيئاً عن الموت.

وحنين جارف لمنبت روحه، ومكان ولادته الذي هو الوطن الذي حمله بذاكرته، ليس الوطن بمفهومنا الشائع حدود وأسلاك شائكة وأفكار كبيرة، وطنه بلدة (لاوفن) الصغيرة الهادئة الوادعة على ضفة نهر النيكار في منطقة (شفابن) وفي دير قديم يسميه الفلاحون هناك (القرية الصغيرة) ولد هولدرلين في العشرين من شهر مارس سنة 1770م، أحب ففشل فهام على وجهه في أرض الله الواسعة منادياً لماذا أنا في الزمن الرديء الحقير البائس، في العالم الموبوء بالنقص، نقص الآلهة الذين اختفوا، ونقص الإله الذي لم يأت بعد.

إننا متأخرون جداً عن الآلهة
ومبكرون جداً عن الوجود
وقصيدة الوجود التي بدأت هي الإنسان.

هولدرلين هذا الزنبقة الشفافة الأكثر هشاشة وعرضه للفناء،تحت شمس دنيانا القاسية، يجر أذيال روحه مكابراً وباحثاً عن ميتة باسلة جسورة، مثل ميتة الفيلسوف الوثني أمباذوقليس (نحو490–430ق. م) الذي قال بالعناصر الأربع لأصل الوجود، الماء والهواء والنار والتراب، فألقى بنفسه في فوهة بركان (إتنا) ليذوب في طبيعة الأشياء ويعود لأصله، لكن هيهات فكتب قصيدة باسمه.

أمباذوقليس
أنت تفتش عن الحياة، تفتش عنها، ونار إلهية
تنبثق لأجلك من أعماق وتتألق،
(ويغلبك) الشوق الجارف فتقذف نفسك
في لهيب (إتنا)
كم كان مجون الملكة يتمنى،
أن يذيب اللآليء في النبيذ!
لو أنك، يا شاعر، لم تلق بثروتك
في الكأس الفوارة !
لكنك عندي مقدس قداسة الأرض،
التي انتزعتك، أيها القتيل الجسور!
ولكم أتمنى أن أتبع البطل إلى الأعماق،
لولا أن الحب يمنعني.

لينتهي شاعرنا بنفس المصير، لكن ليس في سويداء قلب الأرض هذه المرة، بل في أعماق الجنون وصمته الرهيب، فانطفأ عقله وعاش ما تبقى من عمره مثل كائنٍ بري ضارباً في صحراء الجنون ستة وثلاثين عاماً،هولدرلين المسكين هكذا كان يسميه الناس، مات هولدرلي

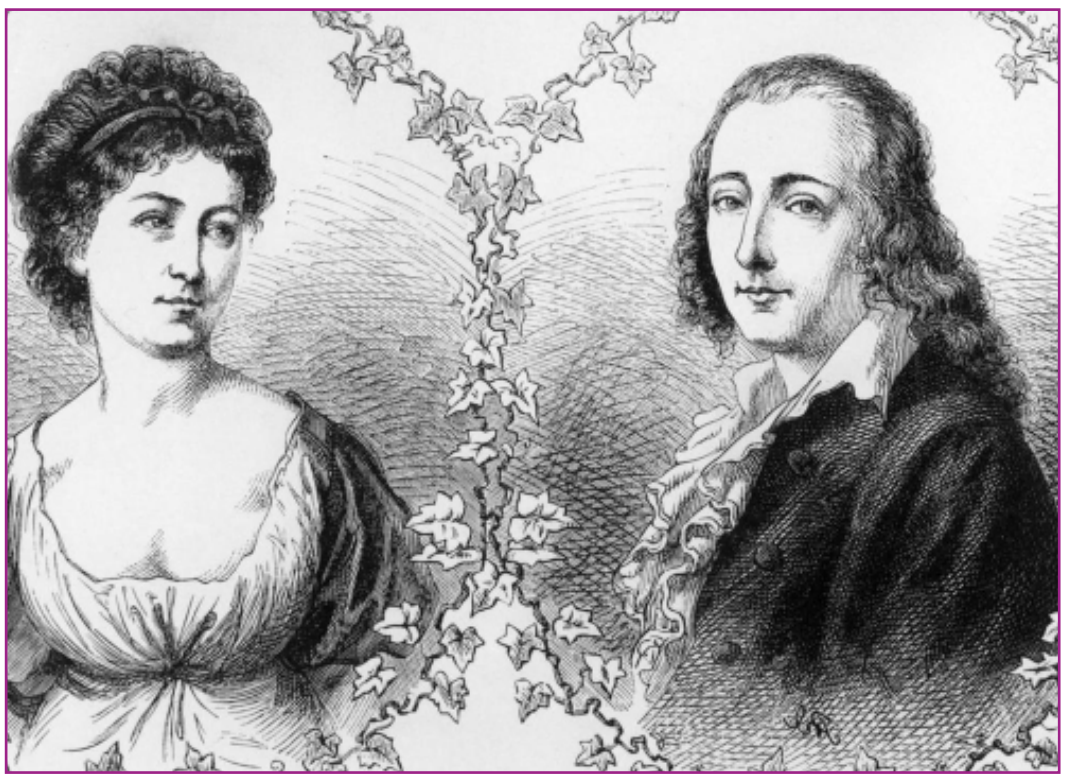

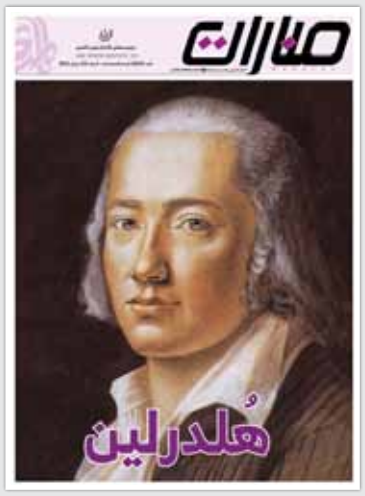

manarat
www. almadasupplements. com
رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق
صارات
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

هل أريد من أعالي السماوات عودةً إلى الزائلين؟

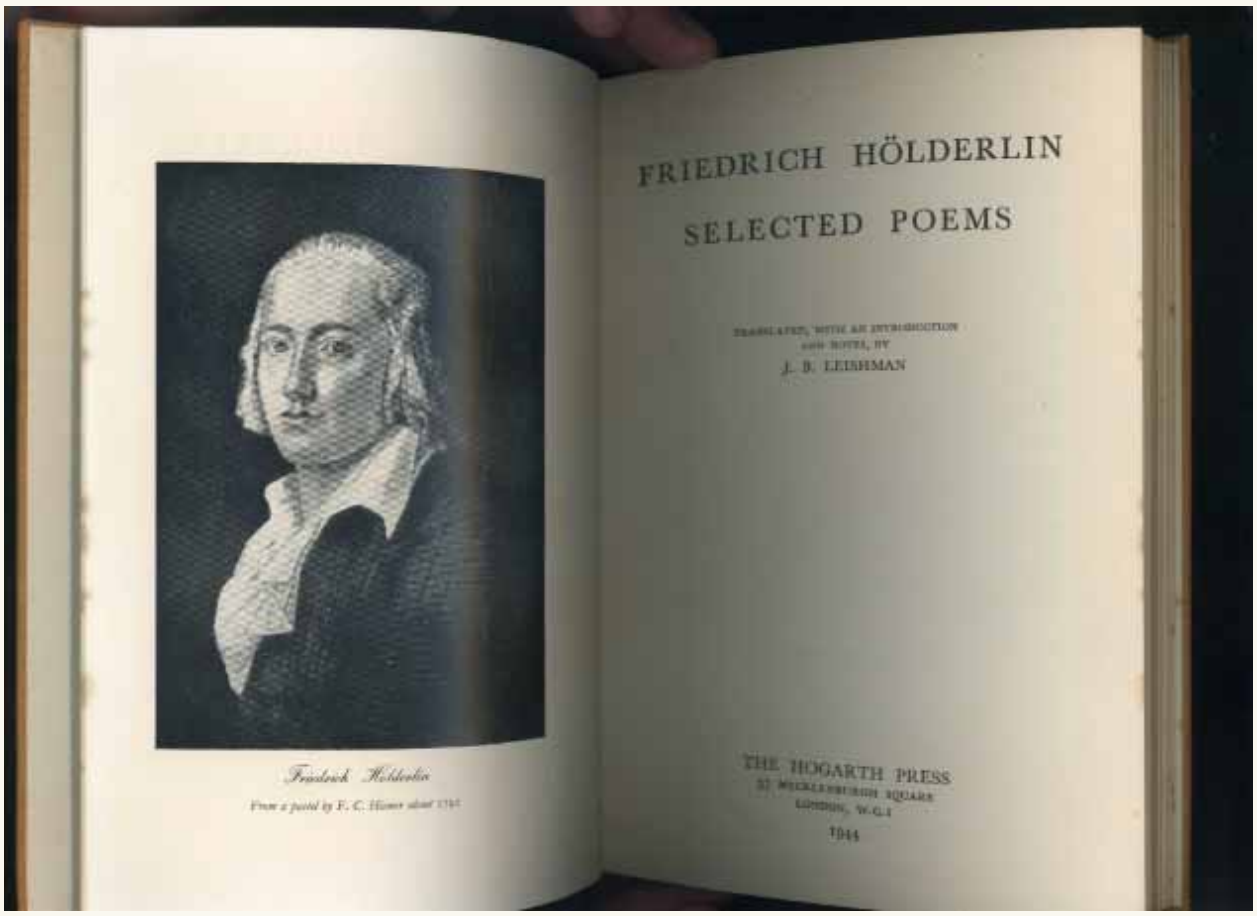

فريدريش هولدرلين

ترجمة: بهجت عباس

عندما عمل فريدريش هولدرلين معلماً لأولاد المصرفي الثري كونتارد (1795–1798) في فرانكفورت، تعلق بزوجة كونتارد الجميلة جداً زوزيتّه، فظهرت في أشعاره وروايته هيبريون – الجزء الثاني (1799) تحت الاسم اليوناني ديوتيما–الكاهنة التي علمت سقراط الحكمة– ومعرفة الزوج بهذه العلاقة أدت إلى خسارة هولدرلين وظيفته والانفصال عن زوزيتّه، مما سبب له ألماً شديداً قاده إلى الجنون، كما ذكر بعض المؤرخين. ولما توفيت زوزيتّه عام 1802 في نورتينغن، ترك هولدرلين عمله التعليمي في بوردو (فرنسا) ذاهباً إلى نورتينغن مشياً على قدميه، وكان في مرحلة متقدمة من مرض الشيزوفرينيا. وكانت أشعاره التي نظمها بين 1802–1806 ثمرة عقل مشرف على الجنون الذي أصابه كلياً بعدئذ، حيث قضى السنوات الستّ والثلاثين الأخيرة من عمره في مستشفى الأمراض العقلية حتى وفاته عام 1843.

ديوتيما

هل تضيء كما كنتَ من قبلُ
أيها النهارُ الذهبيّ !
وهل تتفتّحُ أزهارُ أغنيَتي
مرّةً أخرى نحوك نابضةً بالحياة؟
كيف تغيَّرَ كلّ شيء !
ما كنتُ تجنّبْته حزيناً،
يتناغمُ الآن في أوتارٍ حبيبة
في أغنية طربي،
ومع كلّ دقّة ساعة
تعود بي الذِّكرى بروعة إلى أيام
طفولتي الهادئة،
بعد أن وجدتها، الوحيدة
ديوتيما، أيّتها المخلوقة النبيلة!
أختاهُ! القريبة روحيّاً!
قبل أنْ أعطيَكِ يدي،
عرفتك من زمن بعيدٍ.
قديماً،
في أحلامي التي انبعثتْ
في نهار صاحٍ،
عندما استلقيتُ،
كصبيّ مَرِح،
تحت أشجارٍ حديقتي،
وهناك في ابتهاج هادئ وجمال
بدأ ربيعُ روحي،
كهمساتِ ريح الدَّبور، تمتمتْ روحُكِ
إليَّ، أيَّتها القدسيَّة الإلهيّة.
آه! وثمَّ، ومثلَ أسطورة،
اختفى كلّ إلهٍ عنْ ناظري،
عندما وقفتُ أمامَ وَضَح النهار
السَّماويِّ مثلَ أعمى،
عندما ناءَ الزَّمانُ بحمْله عليَّ،
فأحنى عودي،
وحياتي باردة وشاحبة،
وكنتُ منحدراً إلى أسفلَ بشوقٍ،
إلى مَلكوتِ الموتى الصّامت:
لا أزالُ أتمنى هذه النعمةَ لنفسي،
أنا المُتجَوِّلَ الأعمى،
لأجدَ صورة قلبي
عند الظلال أو هنا.
الآنَ ! وجدتك !
أجملَ، ممّا تصوَّرتُ من قبلُ
من أملي في ساعات الفراغ،
أيّتها المُلهمة الفاتنة! أنتِ هنا:
من الفراديس هناك في العلى،
حيث المسرَّة تهرب عالياً،
حيث الشيخوخة لا ترتقي إليها،
حيثُ يتألقُ الجمالُ الوضاح الأبدي،
هبطت عليَّ من عليائك.
مبعوثةَ الآلهةِ ! بَقيتِ الآنَ
معطاءً رؤوفاً إلى جانب مُغنيكِ
دوماً.
حَرُّ صيفٍ واعتدالُ ربيع،
خصومة وسلام يتبادلانِ هنا
أمامَ الصّورة الربانية الصّامتة
بأعجوبة في قلبي:
غالباً يجتاحني الغضب في غمرة الإذعان،
خجلا، مدحورا، جاهداً أنْ
أُمسكَ بها،
تلك التي حلقتْ فوق تخيلاتي الجّريئة،
غيرَ مسرور بالظفر،
بكيتُ في كبريائي،
لأنها بَدتْ لعقلي
رائعة جدّاً، قويّةً جدّاً.
آه! إلى جمالك الهادىء،
لَطافة مُحياك البشوش:
يا قلبُ! إليك ترانيمَ السَّماء
إنَّ قلبي ليس مُعتاداً عليها،
ولكنَّ ألحانكِ تجلي عقلي شيئاً فشيئا،
فتهرب الأحلامُ المُزعجة،
وأنا ذاتي أكون شخصاً آخرَ.
ألهذا أُخترتُ أنا؟
وهلْ وُلدتُ إلى النور والمرح،
مثلما وُلدتِ أنتِ، إلى سَكينتكِ السّامية،
أيتها المحظوظة ربانيّاً؟
مثلُ أبيكِ وأبي×،
الذي في جلاله الوضاء
فوق جنينة البلوط،
يذهب هناك عالياً في بهاء،
مثلما هو في أمواج البحر،
حيث الأعماقُ الباردة تزرَقُّ،
صاعداً إلى قوس السَّماء،
يُحدِّق إلى أسفلَ بسكينة وصفاء:
لذا هل أريد من أعالي السَّموات،
مُقَدَّساً من جديد في حظ جميل،
سعيداً، لأغني وأرى،
عودةً الآنَ إلى الزائلين